

فضل العفو والصفح

الخطبة الأولى

الحمد لله العفو الغفور، جعل العفو من شيم الأبرار، ووعده العافين عن الناس بأجر لا يحده ميزان، وعزّ لا يطاله خذلان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فهي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ .

عباد الله : الأخلاق شأنها عظيم ، وقد جعلها الإسلام قرينة يتقرب بها العبد إلى رب العالمين ، ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا ، والمؤمن يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ، وأكثر ما يدخل الناس الجنة ، تقوى الله وحسن الخلق ، وهي الأساس المتين في بناء المجتمعات وترباطها ، وإن من الأخلاق الكريمة ، والخصال الحميدة ؛ صفة العفو والصفح .

عباد الله : والعفو اسم من أسماء الله عز وجل ، وصفة من صفاته ، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفا ، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفا ، قال تعالى: ﴿ إن الله لعفو غفور ﴾ الحج: ٦٠ .

وهو سبحانه يحب من يتصف بالعفو ، فمن يعفو عن زلات الناس ، ويتجاوز عن إساءتهم ، ويصبر على أخطائهم ، ابتغاء مرضاة الله ؛ فاز بالجنان ، ونال رضا الرحمن ، قال تعالى: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴿ آل عمران: ١٣٣-١٣٤ .

وقد أمر الله به ، وحث عليه رسوله ﷺ ؛ قال تعالى: ﴿ فاصفح الصفيح الجميل ﴾ الحجر: ٨٥ ، وقال: ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ اللطيف: ١٣ ، قال القرطبي رحمه الله: والعفو: ترك المؤاخذة بالذنب ، والصفح هو: إزالة أثره من النفس أ.هـ.

وقد رتب الله على من عفى عن الناس ؛ بأجر لا حد له ولا عد ، قال تعالى: ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ الشورى: ٤٠ .

عباد الله: وكان نبينا ﷺ يعفو ويصفح ، ويجسن إلى من أساء إليه ، قال ابن مسعود رضي الله عنه: كأي أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ؛ ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعتاء " رواه البخاري .

عباد الله : وكفار مكة آذوه وسبوه ، وأخرجوه وحاربوه ونالوا منه ، وما تركوا بابا من أبواب الشر إلا سلكوه، ثم دخل مكة فاتحا، فأظهره الله عليهم وحكمه فيهم ، وهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فقال لهم : ما ترون أي صانع بكم ، فيبست الشفاه، وغارت العيون، وتنوعت بهم الظنون، ومع هذا قال لهم : أقول كما قال أخي يوسف: ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ يوسف: ٩٢.

عباد الله : والعفو والصفح من سمات المتقين، الذين شرفت نفوسهم وطهرت قلوبهم ، وعلت عند الله مراتبهم ، ففي حادثة الإفك ، كان ممن تكلم في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: مسطح بن أثاثة رضي الله عنه وهو من المهاجرين الأولين وممن شهد بدرا ، وكان مسكينا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه لقرابته منه ، فحلف ألا ينفق عليه فقد آذاه في ابنته ، فلما أقيم عليه الحد ، وقد تاب وقبل الله منه ، أنزل الله قوله: ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ ، فقال الصديق رضي الله عنه : بلى، والله إنا نحب يا ربنا أن تغفر لنا ، ثم أعاد النفقة على مسطح ، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا .

عباد الله : وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل عليه رجل فيه شدة في كلامه ، فقال له: هيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به ، فقال له أحد الحاضرين يا أمير المؤمنين: إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ الأعراف: ١٩٩ ، وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله . رواه البخاري .

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد :

عباد الله: إن النفوس قد جبلت على الشح في الحقوق ، وقد جاء الإسلام بالحث على العفو ، ومقابلة الإساءة بالإحسان ، ابتغاء للأجر والمثوبة من الله جل وعلا .

فالعفو دليل على رباطة الجأش ، وشجاعة النفس ، وانتصارا على الهوى والشيطان ، ولا يعني الضعف والهوان ، كما يتصوره كثير من الناس ، قال ﷺ: " وما زاد الله عبدا بعفو ؛ إلا عزا " فهو يورث صاحبه الرفعة في الدنيا والآخرة.

عباد الله : إن إغفال خلق العفو والصفح في حياتنا ، وشيوع المحاسبة والمعاقبة والمجازاة، بين الأزواج والأبناء، والقراة والجيران ، وبين المسلمين في الأسواق والطرق والمجالس ، وبين قائدي السيارات ، يؤدي ذلك إلى تقطيع الأواصر والروابط ، وإشاعة أجواء التباغض والتدابير والتحاسد .

وإن أسعد الناس أكثرهم سراحة ، بأخذ ما عفا وصفا من أخلاق الناس، وما سمحت به طباعهم، والنظر إلى المحاسن ، وغيض الطرف عن المساوي ، فلا يحاسب على كل كلمة، ولا يهجر لمجرد هفوة، ولا يقطع رحما لأجل لعاعة من الدنيا .

ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، فقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ؛ لم يكن فاحشا، ولا متفحشا، ولا صخابا بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح ، وجاء إليه رجل فقال: يا رسول الله ، كم نعفو عن الخادم؟ قال: «اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة» .

وقيسوا هذا وطبقوه مع من حولكم ، مع استشعار ثواب الله وأجره وغفرانه ، وما سيناله المؤمن على عفوهِ وصفحهِ عمن أساء ، فالجزاء من جنس العمل ، فمن استقصى على الخلق ؛ استقصى الله عليه ، ومن يصفح ؛ يصفح الله عنه ، ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ .

قال الحسن البصري رحمه الله : إذا جثت الأمم بين يدي رب العالمين يوم القيامة ، نودوا : ليقم من أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا .أ.هـ.

قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ نصحت: ٣٤-٣٥.

هذا وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ، فقال تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين .

اللهم وفق ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده لما تحبه وترضاه ، اللهم أعز بهم دينك ، وأعلي بهم كلمتك.

اللهم احفظ بلادنا وأمننا ، واحفظ رجال أمننا ، واحفظ جنودنا المرابطين ، اللهم من أراد بلادنا وديننا وحكامنا وأمننا ، بشر وسوء فأشغله بنفسه ، واجعل كيده في نحره واجعل تدبيره تدميراً عليه ، يا قوي يا عزيز .

اللهم فرج هم المهمومين ، ونفس كرب المكروبين ، واقض الدين عن المدنيين ، واشف مرضانا ومرضى المسلمين ، وارحم اللهم موتانا وموتى المسلمين يا ذا الجلال والإكرام .

عباد الله: اذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون .